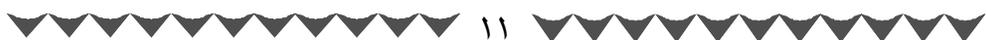


الفصل الأول



obeykandi.com



من أهم الأحداث في تاريخ البشرية – إختراع الحروف ومعرفة الكتابة –
وعندما استطاع الإنسان بالخط والكتابة نقل أفكاره وتسجيل آثاره بدأت المدينة
والحضارة .

ومن تكريم الله سبحانه وتعالى للقلم والكتابة أن ذكرهما في القرآن الكريم
﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ... ﴾ (١)
كما أقسم الحق تبارك وتعالى بالقلم وسميت إحدى سور القرآن الكريم باسمه :

﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ... ﴾ (٢)

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : " قيدوا العلم بالقلم " (٣) .

ومما ساعد على رفع شأن الخط العربي كتابة وتسجيل القرآن الكريم به
واعتباره الوسيلة التي حفظ بها القرآن .
والخط العربي بصورته الحالية لم يصلنا مرة واحدة ، وإنما مرّ بعده مراحل
وهيئات إلى أن وصلنا بشكله الحالي .

النظريات التي وردت بشأن أصل الخط العربي :-

لقد اختلفت الآراء بشأن أصل الخط العربي .. فهناك من يرى أن الخط
العربي ليس من صنع البشر وإنما هو من عند الله ﷻ – علمه لآدم ﷺ بالوحي (٤)
وقيل في هذا الشأن أيضاً أن أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب
آدم ﷻ (٥) إستناداً لقوله تعالى :

١- سورة العلق الآيات من ١ - ٤

٢- سورة القلم الآية رقم ١

٣- حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير والحاكم بنص " قيدوا العلم بالكتاب "

٤- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاج ٣ ص ١٠ ،
المطبعة الأميرية - القاهرة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م .

١- الجهشيارى (محمد بن عبدوس) ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م : الوزراء والكتاب - ص ٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده بمصر ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا... ﴾^(١)

ويعارض ابن خلدون هذا الرأي ، وحجته في ذلك أن الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية فهو على ذلك ضرورة اجتماعية اصطنعها الإنسان ورمز بها الكلمات المسموعة ، والكتابة على ما هو معروف المرتبة الثانية من مراتب الدلالة اللغوية تابعة في نموها وتطورها شأن كثير من الصناعات المعاشية - لتقدم العمران - والكتابة لهذا السبب تنعدم مع البداوة وتكتسب بالتحضر لا يصيبها البدو عادة إلا مقيمين على تخوم المدينة^(٢) .

ولقد رفض هذا الرأي الكثير من الباحثين في الخط العربي^(٣) لأنه لا يقوم على أساس من العلم أو سند من التاريخ الصحيح .

أما الرأي الثاني فيرجع أصل الكتابة والخط العربي إلى الخط المسند الحميري^(٤) .

ولقد رفض هذا الرأي العديد من الباحثين المحدثين في أصل الخط العربي^(١) لأن أصحاب هذا الرأي لا يستندون إلى دليل مادي فليس هناك علاقة واضحة بين خطوط حمير في اليمن والخط العربي الذي وصل إلينا .

-
- ٢- سورة البقرة : جزء من الآية رقم ٣١ .
- محمد طاهر الكردي : تاريخ الخط العربي وأدابه ص ١٦ / القاهرة ١٩٣٩م .
٣- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨ هـ) : المقدمة - ج ٢ ص ٩٦١ تحقيق د/ علي عبد الواحد وافي - ط ٣ - دار نهضة مصر - القاهرة
٤- إبراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة ص ١٧ ، القاهرة ١٩٦٩م .
- زكي صالح : الخط العربي ص ١٥ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٣م
- إبراهيم جمعة : قصة الكتابة العربية ص ٧ ، ٨ ، سلسلة إقرأ - دار المعارف ط ٤ سنة ١٩٨٤م
- بلال الرفاعي : الخط العربي - تاريخه وحاضره ص ٣٠ ، ٣١ ط ١ ، دار ابن كثير ، دمشق وبيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م
٥- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م) :
جمهرة اللغة ، ج ٢ ص ٩١ ط ١ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م
- ابن خلدون : المرجع السابق ج ٢ ص ٩٦٢ دار نهضة مصر ، القاهرة .
- الفيروز بادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م) ، القاموس المحيط ج ٤ ص ٩٠ - المطبعة الحسينية المصرية ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م
- القلقشندي : المرجع السابق ج ٣ ص ١٤ المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م .

كذلك من الأدلة على ضعف هذه النظرية أو هذا الرأي أن حروف حمير تكتب منفصلة غير متصلة وهي في أشكالها تختلف اختلافاً واضحاً عن أشكال الحروف العربية فليست بينها حروفاً متشابهة إلا في حرف الراء^(٢) بالإضافة إلى أن اتجاه الكتابة في المسند لم يكن في ناحية واحدة مثل العربية الشمالية وهي من اليمين لليسا، وإنما نجد في كثير من الأحيان العكس وقد يمزج بين الطريقتين^(٣).

ومن بين الآراء التي ذكرها الباحثون القدامى أيضاً في أصل الخط العربي ومصدره - ما ذكره بعض المؤرخين العرب^(٤) وعلى رأسهم البلاذري الذي يروي عن عباس بن هشام بن محمد السائب الكلبي عن جده وعن الشرقي القطامي : أن ثلاثة نفر من طي اجتمعوا في بقعة^(٥) وهم مرامرة بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة ووضعوا الخط وقاسوه على هجاء السريانية فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار ثم تعلمه أهل الحيرة من الأنبار. ويقولون كذلك أنها انتقلت من الحيرة إلى الحجاز على يدى بشر بن عبد الملك الكندي الذي علمها نفر من أهل الحجاز. ويرفض هذا الرأي بعض مؤرخي الفن^(٦) على أساس أن الروايات الخاصة باختراع الكتابة العربية المنسوبة إلى الحيرة تعتمد على أخبار خاطئة^(٧)

-
- ١- سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي - رسالة ماجستير ساعدت على نشرها جامعة بغداد ص ٢٦، ٢٧، بغداد ١٩٧٧م
 - إبراهيم جمعة : قصة الكتابة العربية ص ٩.
 - ٢- إغناطيوس غويدي : المختصر في اللغة العربية الجنوبية القديمة ص ٣/ القاهرة ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م.
 - ٣- إغناطيوس غويدي : المرجع السابق ص ٣.
 - ٤- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي) : فتوح البلدان ، ص ٤٥٦-٤٥٧/ راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان / بيروت ١٩٨٣م.
 - ابن النديم (محمد بن إسحق المشهور بابن النديم) : الفهرست ص ٦، ٧ / دار المعرفة بيروت .
 - القلقشندي : المرجع السابق ج ٣ ص ٨
 - ٥- بقعة : بالفتح وتشديد القاف اسم موضع قريب من الحيرة بالعراق ، وقيل حصن كان على بعد فرسخين من هيت كان ينزله جذيمة الأبرش ملك الحيرة . انظر :
 - ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) : معجم البلدان ج ١ ص ٧٠٢ وقد ورد اسمها " بقعة " في العقد الفريد لابن عبد ربه
 - ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) : العقد الفريد ، ج ٤ ص ١٥٧ شرحه وضبطه وصححه وعتون موضوعاته : أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م.
 - ١- إبراهيم جمعة : قصة الكتابة العربية ص ١٣ ، سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي وتطوره ص ٢٤ ، ٢٥

ويفسر هذا الرفض د/ إبراهيم جمعة بقوله " أننا نستسيغ من هذه النظرية أن تكون الحيرة مركزاً من مراكز تعليم الخط العربي في وقت ما لا ضير في ذلك لأن خط العرب الشماليين انتهى في وقت من الأوقات إلى هذه البقعة وهو يرحل رحلته من موطنه الأول (ديار النبط) إلى الحجاز بطريق دومة الجندل والعراق الأوسط، ومن المقبول إذن أن تكون الأنبار والحيرة قد تلتفتا هذا الخط من بعض جهات الشام ثم أزجته الأنبار والحيرة إلى الحجاز قائمتين بدور الوسيط^(٢) وقيل أيضاً أن أول من وضع الحروف العربية ستة أشخاص من طسم وهم "ملوك جبابة"^(٣) هم أبجدوهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت^(٤) وضعوا الكتابة والخط على أسمائهم ولما وجدوا حروفاً في الألفاظ ليست في أسمائهم أحقوها بها وسموها الروادف^(٥) وهي الثاء والخاء والذال والضاد والطاء والعين المعجمات.

ويضيف الصولي : إنها رواية أوردها عبد الله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير^(٦).

-
- بلال الرفاعي : الخط العربي - تاريخه وحاضره ص ٣٤ .
- ٢- Grohman, Adolf : Arabische Balaographie , Teil , 11P.26 , Vien .
- سهيلة الجبوري : المرجع السابق ص ٢٤ حاشية (٣٦)
- ٣- إبراهيم جمعة : المرجع السابق ص ١٢ ، ١٣ .
- ٤- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٢٠٣ ، ط بيروت ١٩٦٤م .
- ٥- وقد اعتبر أن (أبجد) ملكاً على مكة وما جاورها (هوز وحطى) ملكين على الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد (كلمن) و(سعفص) و(قرشت) ملوكاً بمدين . انظر :-
- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ٣٩٦-٣٩٧ ، كتاب التحرير ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م
- ٦- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٤ ص ١٥٧ ، - ابن النديم : الفهرست ص ٤ وقيل في أبجد ، هوز ... الخ أنها أسماء لأبناء مرارة بن مرة وليست أسماء ملوك في الحجاز وبقيّة أجزاء الجزيرة العربية .
انظر سهيلة الجبوري : اصل الخط العربي ص ٢٢ حاشية ١٨ .
- ١- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى ت ٣٣٦هـ / ٩٤٧م) : أدب الكتاب ص ٢٩
تصحيح محمد بهجت الأثري ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م .

وهذه الرواية مختلفة ، ومما يؤكد ذلك أن الحروف العربية ظلت غير منقوطة حتى بعد ظهور الإسلام بفترة ، ونادراً ما كان ينقط القليل منها ، وقد طعن في صحتها العديد من مؤرخي الفن ^(١) .

وأغلب الظن أن الترتيب الأبجدي القديم عند أكثر الأمم السابقة هو ترتيب أبجد هوز ، وهي ألفاظ لم يقصد منها سوى جمع هذه الحروف في كلمات ^(٢) .

وأكثر الآراء قبولاً لدى مؤرخي الفن - أن الخط العربي إشتق من الخط النبطي على أساس أن عرب الشمال إشتقوا خطهم من الصورة الأخيرة لخطوط النبط . ومثلما استعار النبط خطهم الأول من الآراميين - كذلك استعار العرب خطهم الأول من بني عمومتهم الأنباط . كما لا تبعد الصورة الأولى للخط العربي كثيراً عن صورة الخط النبطي ، ولم يتحرر الخط العربي من هيئته النبطية بحيث أصبح خطأ قائماً بذاته إلا بعد أن استعاره العرب الحجازيون لأنفسهم بقرنين من الزمان ^(٣) .

ولقد انتقل الخط العربي من ديار النبط إلى الحجاز إما عن الطريق الدائر من حوران إلى وادي الفرات الأوسط حيث توجد الحيرة والأنبار ثم إلى دومة الجندل ثم مكة والطائف ، أو من ديار النبط إلى البتراء إلى العلا ثم شمال الجزيرة

-
- ٢- خليل يحيى نامي : اصل الخط العربي وتطوره إلى ما قبل الإسلام - مجلة كلية الآداب الجامعة المصرية - مجلد ٣ ، ج ١ ص ٥ ، ٦ ، القاهرة ١٩٣٥ م . - سهيلة الجبوري : المرجع السابق ص ٢٢ - زكي صالح : المرجع السابق ص ٢٨ .
٣- حفني ناصف : تاريخ الأدب ، ج ١ ص ٣٥ ، سنة ١٩١٠/١٩٠٩ م ، - سهيلة الجبوري : المرجع نفسه ص ٢٢ .
٤- إبراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار ص ١٧ ، ١٨ ، - قصة الكتابة العربية ص ١٥ - ١٧ - سهيلة الجبوري : المرجع نفسه ص ٥١
- محمود حلمي : الخط العربي بين الفن والتاريخ - مجلة عالم الفكر ، مجلد ١٣ ، عدد ٤ ، ص ١٦٧ - ١٦٨ الكويت ١٩٨١ م .
- محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ص ١٧٣ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م
- بلال عبد الوهاب الرفاعي : المرجع السابق ص ٣٦-٣٧

العربية حتى المدينة ومكة وذلك في الفترة بين منتصف القرن ٣م ونهاية القرن ٦م والتي أخذ فيها الخط العربي صورته الحالية متحرراً من الطابع النبطي^(١) وجدير بالذكر أنه كانت توجد في بلاد الحجاز سوقاً نبطية في نهاية القرن ٥م مما يدل على العلاقات التجارية الهامة بين بلاد النبط والحجاز. كما أنه من أكثر الآراء شيوعاً أن الكتابة العربية قد انتقلت من الأنباط إلى عرب الحجاز مع التجارة التي كان يمارسها القرشيون واليهود معهم وأن رحلات الشتاء والصيف قد أفادت العرب فائدة ثقافية إلى جانب إفادتهم من الناحية المادية.

إذا كانت الحروف العربية قد انتقلت بصورها من الشمال - فإنه قد يكون أقرب إلى الصواب إذا قلنا أنها قد تبلورت وتشكلت بين مكة حيث البيت العتيق (المسجد الحرام) والمدينة المنورة^(٢)، كما أن سكان قلب الجزيرة العربية قد تعالوا على غيرهم من الشعوب المحيطة بهم بلغتهم العربية السليمة، ثم جاء القرآن الكريم ليكون معجزة دين وبلاغة ولغة.

ولقد استمر تطور الخط العربي حتى عصر النبوة، ففي هذا العصر كان كتابة الوحي يكتبون بذلك الخط العربي الذي استقام عوده بعد أن استقل عن الخط النبطي ولكن للأسف لم تصلنا أمثلة من هذا الخط الحجازي المستعمل أيام النبي ﷺ في مكة أو في المدينة^(٣).

وأغلب الظن أنه كان لهذا الخط في عصر النبوة صورتان - إحداهما ليننة يميل الخط فيها إلى التدوير وكانت تستعمل في التدوين السريع، والثانية جافة يميل الخط فيها إلى التربع وكانت تستخدم في كتابة الشؤون الهامة التي يراعي

١- زكي صالح : المرجع السابق ص ٣٤، ٣٧، إبراهيم جمعة : قصة الكتابة العربي ص ١٨

- بلال الرفاعي : المرجع السابق ص ٣٧

٢- محمود حلمي : المرجع السابق ص ١٦٩.

٣- محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ص ١٧٣ حاشية (١)

في كتابتها التآني والدقة فكان كتبة الوحي يكتبون ما يمليه عليهم الرسول ﷺ من القرآن فور نزوله بالخط اللين نظراً لطواعيته وسهولته وعند العودة إلى منازلهم يعيدون كتابة ما دونوه في حضرة النبي بالخط الجاف .
وكانت الخطوط في فجر الإسلام تسمى بأسماء المدن التي جودته وطورته فنجد الخط الحيري والأنباري والمكي والمدني والكوفي والبصري .. الخ .